تفسير

المختصر المفيد في تفسير الكتاب المجيد(*)

الأنبياء ٣٣٨

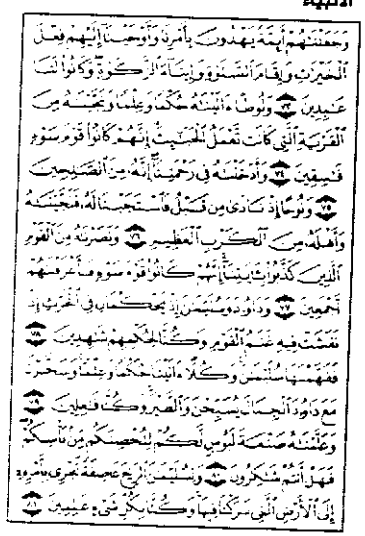

وَحَفِظْنَٰهُمْ أُمَّةً بَهِدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣: وهكذا شاء الله ان تستمر الامامة في نسل هؤلاء الطاهرين لتحقق هدفها التاريخي وهو هداية البشرية بارادة الله نحو علائها وتحقيق هدف خلقتها، ووصول افراد الانسان الى مقاماتهم الحقيقية. وفعل الخيرات واقامة الصلاة لتقوية العلاقة بالله، وايتاء الزكاة لتحقيق التكافل، وبالتالي ايجاد المجتمع العابد.

٧٤،٧٥: اشارة سريعة لقصة لوط وقد اوتي الحكمة والعلم فدعا الى الله ولكن قريته (سدوم) لم تستمع الى دعوته بل راحت تعمل الخبائث اي الفاحشة مع الذكور، وهي خروج على الضيعة. فنجاه الله منها وادخله في رحمته لانه كان من الصالحين.

٧٦،٧٧: اشارة اخرى لنوح النبي - قبل ابراهيم - وهو يلتجئ الى ربه شاكيا اليه مصائبه مع قومه المكذبين، ليستجيب الله له وينجيه واهله من الهم والمصائب الكبرى وينصره عليهم بعد ان كانوا قوم سوء فيغرقهم اجمعين.

٧٨،٧٩،٨٠: صورة اخرى من حياة الانبياء، حيث تحدث حادثة دخول غنم احدهم في مزرعة كرم مملوكة للآخر ليلاً فتأكل كل الزرع، فيعرض هذا الامر على داود، وكان هذا النبي حاكماً على بني اسرائيل فرأى - وهو يستشير وقد سليمان - ان تمنح الغنم لصاحب الزرع، ولكن سليمان رأى ان تمنح منافعها اي الغنم - لصاحب الزرع. فكان حكم سليمان اكثر رفقاً. وكلا الرأيين ركز على ضمان ما اتلفته الغنم. وهكذا امتن الله عليهما بالحكمة والعلم، كما امتن على داود بتسخير الجبال لتتجاوب مع تسبيحه (والكون كله يسبح لله) وكذلك الطير في السماء فقد سخرت له مسبحة منزهة لله، كما علم الله داود صناعة الدروع التي تشكل حلقاً تلبس متداخلة لتحافظ على الابدان في حالة الحرب. وكان ذلك تقدماً في الصناعة الحربية آنذاك مما يستدعي الشكر لله على هذه النعمة.

٨١: وكذلك امتن الله على سليمان بتسخير الرياح العاصفة له ليأمرها بالسير الى الارض المباركة (الشام) محققة له مايريد بامر الله تعالى.

الأنبياء ٣٣١

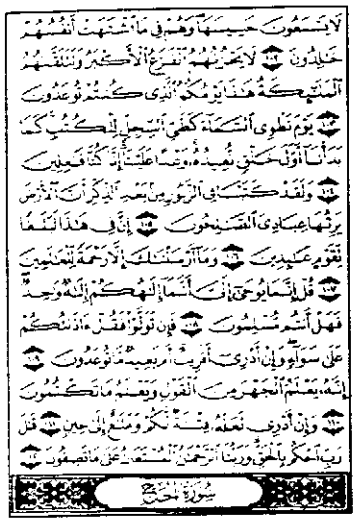

١٠٢: ان المؤمنين الموعودين بالجنة لا يسمعون حسيس جهنم المرعب بل هم ينعمون بكل ما تشتهيه أنفسهم خالدين. وبهذا يشبع القرآن اعظم الآمال الإنسانية وهو ما تعجز عن تقديمه المبادئ الوضعية لأن مداها قصير لافيمة له في قبال حياة الخلود الاخروية. وبهذا تطمئن نفس المؤمن ولا يبقى مجال لصراع المصالح الذاتية والاجتماعية وهو سر هلاك الامم عبر التاريخ . فالدين هو الحل.

١٠٣: فلا حزن ولا فزع بل تكريم ملائكي رائع وبشرى بتحقق الوعد الصادق.

١٠٤: انها الحقيقة الكونية الهائلة يوم يطوى الكون كما يطوي مالك الكتاب كتابه، ويعود الى هيئته أول مرة. وكل ذلك سهل يسير على يد القدرة الالهية الفاعلة لما تشاء.

١٠٥: وهذه حقيقة كونية تاريخية أخرى اعلنها كتاب الزبور وهو كتاب داود انزل بعد التوراة، وتنبئها الوقائع التاريخية ويقررها القرآن الكريم بقوة وتتلخص في ان التاريخ يسير نحو مجتمع الصالحين - لا محالة - حيث يكون الدين كله لله وتملأ الارض عدلاً كما ملئت ظلماً.

١٠٦: انه اعلان الهي للمسيرة العابدة انها هي المنصورة، وهي الوارثة وهي المرحومة.

١٠٧: وماجاء هذا الرسول وهذه الرسالة الا بالرحمة لكل البشرية.

١٠٨: انها تنادي بالتوحيد وهو دين المسيرة المؤمنة، وتدعو للاسلام وهو لازم التوحيد. والاسلام بخصائصه العامة يضمن للبشرية كلها السعادة وكل الحقوق الانسانية.

١٠٩: هكذا وبكل وضوح يعلن الرسول مبادئه ، فالكل سواء امام هذه الحقيقة، اما جزاء الانحراف عن الحق فهو غير معلوم الأجل وهو موكول الى الله.

١١٠: والله محيط بالكون والانسان لا يفرق لديه بين نداء بصوت عال او أمر مكتوم.

١١١: فلا يعلم سر تأخير العذاب ولعله امتحان وتمتيع الى اجل او استدراج وامهال كي يزدادوا في الاثم.

١١٢: ان الله هو الحاكم بالحق وهو الرحمن بالبشرية جمعاء ولذا يتوجه الرسول اليه تعالى ليفصل بينه وبين قومه، ويستعين به لمواجهة ما يصفونه من كذب واستهزاء وافتراء وجهل. وفي كل هذا ثبات لفؤاده وارعاب للكافرين.

الحج ٣٣٢

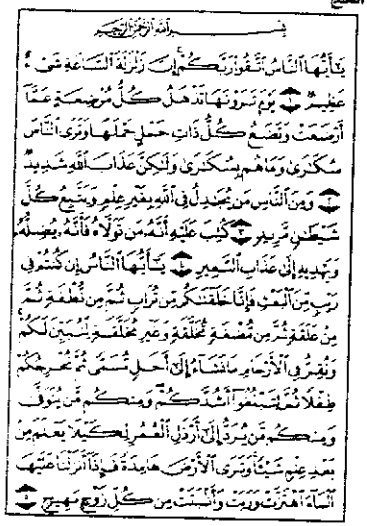

سورة الحج

٢،١: تبدأ السورة بتحويف الناس من هول يوم القيامة ليترك الاعتقاد بالمعاد أثره في السلوك (وفرق كبير بين مجتمع يؤمن به ويحسب له حسابه وآخر لا يؤمن به) انها دعوة للخوف من الله والاعداد لذلك اليوم الرهيب حيث الزلزال العظيم، وحيث الذهول الشامل بحيث تذهل كل مرضعة عن رضيعها رغم أنه متصل بها معنىً وحساً، وتضع الحامل جنينها، وتسود الدهشة حتى كأن الناس سكارى، انه تصور العذاب الرهيب.

٤،٣: في ظل هذا الهول الذي يدعو للتأكد والتأمل تجد اناسا يجادلون جاهلين في الله وصفاته متبعين تشكيكات الشياطين العصاة الغواة الذين يقودون اولياءهم الى الضلال وعذاب النار حتماً.

٥: ولينظر هؤلاء المشككون في المعاد الى مايجري حولهم ليدركوا مدى قدرة الله. فهاهو الانسان يبدأ تراباً ثم يتحول - بقدرة الله - الى نطفة، ثم الى علقة لقيحة تحمل كل خصائص الانسان، ثم الى مضغة: اي قطعة لحم او دم غليظ تامة الخلقة او غير تامتها تتخذ مسيرها ليتكون الجنين الذي يستقر في الرحم الى اجل معين او يلفظه الرحم، ثم لينمو الجنين ويخرج للحياة طفلاً، ثم ليصل الطفل الى مرحلة النمو البدني والعقلي وهكذا فقد يتوفى وقد يمتد العمر الى مدة طويلة فيفقد الانسان قواه ويهرم بحيث يفقد وعيه وعلمه.

ثم لينظر المشككون الى هذه الارض الهامدة الميتة ينزل عليها المطر فتهتز وتنمو وتنبت أزواج النبات الذي يشبع البهجة في الحياة.

ان المتأمل في هذه المراحل العظيمة بين البدء والختام، وهذا التكامل من مرتبة ادنى الى مرتبة اسمى يدرك بوضوح وجود وعظمة تلك القدرة التي حققت هذا التكامل ونفخت الحياة وقادت الانسان الى هدفه بدقة متناهية وهيأت له مايديم حياته من امكانات داخلية وطبيعية منسجمة مع هذا الهدف. إنها القدرة المطلقة الحكيمة. واي افتراض للصدفة في البين يعني السخف وترفضه النفس والعقل.

الحج ٣٣٣

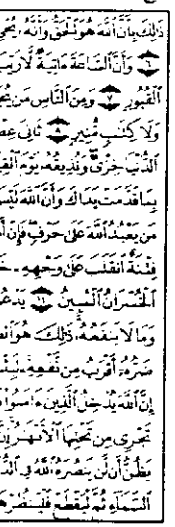

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦
وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ۚ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ يَدْعُوا۟ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝١٣
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥

٧،٦: في هذا الجو النفسي والعقلي تتقرر هذه الحقيقة الكبرى: ان الله هو الحق الثابت وان البعث يتم بقدرته فهو على كل شيء قدير، وان القيامة آتية بلاريب وان المخلوقات سوف تنطلق من قبورها بأمره لتواجه الحساب وحينئذ يكون لمسيرة الانسان معناها وهدفها وعدالتها.

٩،٨: وفي هذا الجو أيضاً يبدو سخف من يماري ويجادل ويشكك في الله دون ان يستند الى علم عقلي او هدي معين مستند الى حقيقة او وحي وكتاب واضح، وانما هو جدال واتباع للغرور والتكبر والعجرفة لاضلال الآخرين.

(وكأن هاتين الايتين تتسيران للمضلين في حين اشارت ماقبلهما الى الأتباع الضالين) وهؤلاء اهل للخزي والهوان الدنيوي، وعذاب النار الاخروي.

١٠: وهو جزاء لما كسبود والله تعالى لا يظلم عبيده.

١١: نموذج من الأفراد يعرضه القرآن ليبعد المؤمنين عنه! انه الانسان المتأرجح الذي يؤمن طلباً للربح فان حصل عليه ثمت واطمأن، وان اصيب بامتحان وبلاء انقلب وتراجع، فهو بذلك يعبر عن عدم ايمانه في الواقع وهو الخاسر الحق في الدنيا حيث القلق والتأرجح، وفي الآخرة حيث فقدان الثواب واستحقاق العقاب.

١٣،١٢: انه عربد في فلفه ينحه الى ماسوى الله ليحقق له مصالحه ولن يحقق له هذه المصالح. كما انه غير قادر على الاضرار به، وهكذا يغرق نفسه في الضلال البعيد، فهو في الواقع يضر نفسه بدعائه اكثر من ان ينفعها فبئس المولى المتبع وبئس العشير المصاحب.

١٤: اما المؤمنون العاملون للصالحات فأمامهم جنات الخلد وعدهم بها ربهم والله قادر صادق رحيم رؤوف.

١٥: ان الثقة بالله وبنصره هي مقوم الحياة المستوية المتكاملة المطمئنة واليأس من لطف الله كفر وعذاب، واليائسون من نصر الله لهم او للرسول يمكنهم ان يشدوا انفسهم بحبل الى مكان عال ويخنقوا انفسهم به او يقطعوه ليهووا الى الارض ويكونوا بذلك قد اشبعوا غيظهم وحمقهم وكأن القرآن بهذا يبكتهم ويستهزئ بحالتهم اليائسة.

الحج ٣٣٤

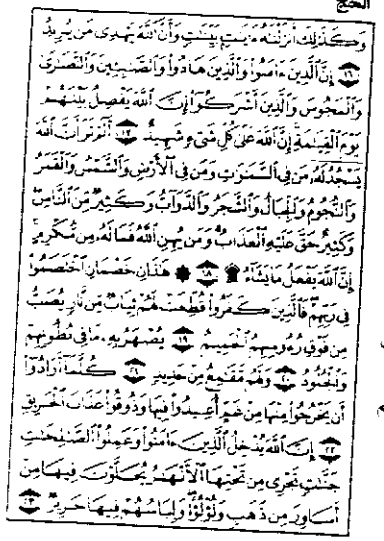

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ۝١٦
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝١٨ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟
فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟
أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
۝٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣

١٦: هكذا جاء هذا القرآن بآياته الواضحة ليشكل مصدراً للهدى فاذا اختار الانسان سبيل الهدى هداه الله اليه بعد ان يعرف صدقه.

١٧: تسير كل الامم - سواء المؤمنون المسلمون واليهود والصابئون والنصارى والمجوس والمشركون - سيرها في التاريخ تحت علم الله وسيطرته واحاطته وسترجع اليه ليحكم فيها بحكمه الحق.

١٨: وان الكون كله ساجد لله: من في السماء، ومن في الارض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والحيوانات التي تتحرك. وينسجم مع سجود الكون التكويني سجود ارادي لكثير من الناس في حين يخرج كثير منهم عن الحالة المنسجمة فيستحق العذاب ومن اهانه الله بذنوبه فلا عزة له ولا كرامة.

١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣: صورة الخطين المتخالفين (خط الايمان وخط الضلال) يوم القيامة: اما خط الضلال فهو في اتون المحن: ثياب تفصل له من نار، وسائل يغلي يصب على الرؤوس فينصهر به ما تحت الجلود وفي البطون. واعمدة من حديد، كلما تحركوا للخروج اعيدوا الى جهنم وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق.

٢٣: واما خط الايمان والعمل الصالح فانه ينعم في بحبوحات الجنان تجري من تحتها الأنهار بملابس حريرية ناعمة وحلي من ذهب ولولؤ بديع. فأين هذا من ذاك؟!

الأنبياء ٣٢٥

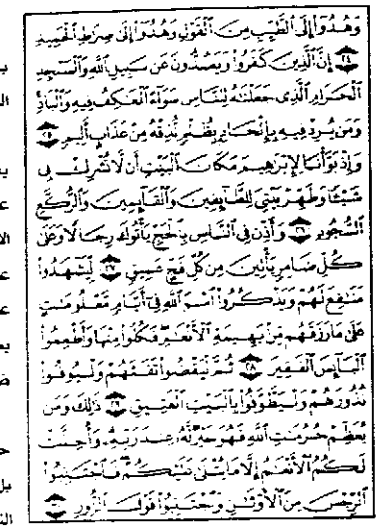

٢٤: إضافة الى جوانب التنعم المادي يتمتع المؤمنون بالقول الطيب حيث التسبيح والسلام والحمد لله، وبسلوك الصراط الالهي الحميد فلا يصدر منهم الا الفعل الطيب ايضاً.

٢٥: بعد هذه الصور المؤثرة عن خطي الايمان والكفر ينتقل القرآن الى واقع المشركين في مكة. مكة التي قامت على اساس المسجد الحرام – مركز الهداية التوحيدية في الارض – فاذا بهؤلاء يتحكمون بها، ويعلنون الشرك، ويصدون عن سبيل الله وعن الاداء الصحيح للحج والعمرة – كما فعلوا عام الحديبية – فبأن لله اراد لمكة ان تكون دار الأمان للناس لا يختلف فيها مقيم عن وارد من خارجها، وهدد كل من يعمل ظالماً على الوقوف ضد حالة الأمان هذه، بالعذاب الاليم.

٢٦: يعود القرآن – لتأكيد ماسبق – الى اول المسيرة حيث حدد الله مكان البيت الذي اراد الله ان ينسب اليه (والارض كلها بل الكون ينسب اليه لانه خالقه، ولكنها عناية الهية بالبشرية التي تتأثر بمحسوساتها اكثر من معقولاتها) ليعمل ابراهيم على بنائه وتطهيره ليكون مرجعاً وساحة للعابدين لله من الذين يطوفون حوله، والمقيمين للصلاة، والراكعين الساجدين.

٢٧: وأمر ابراهيم بدعوة الناس الى حج بيت الله الحرام واعلان الالتزام بميثاق التوحيد. وراحت دعوته تتردد في جنبات التاريخ. وقد اخبره الله ان المؤمنين سيستجيبون لهذه الدعوة ويتجهون للبيت على اقدامهم او على ظهور رواحلهم التي يضمرها ويضعفها التعب لطول المسير من الفجاج البعيدة.

٢٨: وهنا يجتمع ممثلو كل مجتمعات البشرية المسلمة ليشهدوا منافع كثيرة: منها التعارف والتآلف على منهج التوحيد، ومنها التأكيد على تواصل المسيرة عبر التاريخ، ومنها معرفة آمال الموحدين وآلامهم. ومنها الارتباط بمنهج ابراهيم وليذكروا الله ويعظموه ويؤدوا ميثاقهم له وذلك في زمان واحد ومكان واحد ونداء واحد بلباس واحد في ظل الامان والسلام ثم ليشكروا الله على نعمه وتوفيره لهم اكلهم من بهيمة الانعام ويتدربوا على اطعام البائس الفقير.

٢٩: وبعد انتهاء الاحرام يعمل المؤمنون على اعادة تنظيف وتجميل ابدانهم بالحلق او النتف او قص الاظافر ثم الوفاء بما نذروه لله ثم الطواف الأخير.

٣٠: ان حرمات الله هي الحدود التي يجب تعظيمها والوقوف عندها، اما ماحرمته الجاهلية من الانعام فلا قيمة لتحريمها له، وانما المتبع هو محرمات الشريعة ومن اهمها ماذبح للاوثان، واقوال الزور والباطل المبتدعة من قبل الجاهلية.

والملاحظ ان هناك شوائب جاهلية طرأت على عملية الحج الابراهيمي وعمل الاسلام على نفيها من قبيل: تعظيم الاوثان، وتحريم بعض الثروات الحيوانية، وتلطيخ الاوثان بدماء الاضاحي، واقوال الزور، والتصفيق والصفير، وتعالي قريش على الناس ونفيرها من دونهم من المزدلفة، واتيان البيوت من خلفها بعد الاحرام، والتلهي بذكر الآباء والتفاخر بهم، والنسيء، والطواف العاري وكلها امور نفاها الاسلام.

الحج ٣٣٦

٣١: اراد الله لهذه الامة ان تكون موحدة خالصة لله، وان تبتعد عن الشرك وهو الوهدة الحضارية الكبرى. فمثل المشرك المبتعد عن الحقيقة مثل من هوى من مكان عالٍ فمزقته طيور الاهواء الجارحة او قذفت به الرياح الى هوة عميقة.

٣٢: بعد ان تنتفي كل الشوائب والبدع تبقى شعائر الله معالم واضحة على طريق الامة، ويبقى الحج علماً للاسلام فيجب تعظيم هذه الشعائر التي جعلها الله، والاعتبار بها، فهي تربي التقوى في القلوب باستمرار وربما اشير هنا الى خصوص البدن التي تساق هدياً وتشعر بعلامة الهدي.

٣٣: فان للبدن – او عموم الشعائر – منافع الى حين نحرها ومنتهاها الى البيت الحرام.

٣٤: وهكذا يقرر القرآن ان الامم المؤمنة كانت لها انواع من العبادات وهي تذكر فيها اسم الله على ذبائحها وتشكره وحده على هذه النعمة. انه الاله الواحد الذي يجب ان تسلم له البشرية وتخبت –اي تطيعه بارادتها – لكي تصل إلى الهدف.

٣٥: ان مناسك الحج تربي في الانسان التوحيد، والشكر، والطاعة، وذكر الله، والخشية والصبر، واقامة الصلاة، والإنفاق. فهي تربي الانسان على ان يكون انساناً حقاً.

٣٦: والبدن هي الابل السمينة التي تقدم هدياً في الحج فتصبح من شعائر الله (التي تحتاج الى جعل الهي) فهي الخير في حياتها وعند نحرها. ويجب ذكر الله عليها وصفها بنحرها قائمة معقولة الرجل. فاذا نحرت واستقرت على الارض وماتت امكن الاكل منها، واطعام الفقير سأل الطعام (المعتر) ام لم يسأله (القانع).

وهكذا سخرت هذه الثروة الحيوانية للانسان لتشبع حاجاته وليشكر الله على ذلك.

٣٧: كل هذه المناسك ومنها الهدي انما هي لتربية التقوى في النفوس (لا لينتفع الله بهذه اللحوم والدماء فهو غني – سبحانه – عن ذلك) اذ سخرها للانسان ليكبر الله ويشكره على الهداية، ويحسن السلوك ليصل الى غايته.

٣٨: ان الله العظيم الجبار يدعم المؤمنين، ولا يشمل دعمه الكافرين الذين خانوا مواثيقهم الفطرية.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩: بعد ان تهيأت الظروف المناسبة في المدينة جاء الاذن بالقتال للمؤمنين بعد أن تحملوا الظلم والاذى الكثير، وضمن الله لهم الدفاع عنهم وتحقيق النصر وهو القادر عليه.

٤٠: لقد اخرج المؤمنون من ديارهم ظلماً لأنهم رفعوا كلمة الحق والايمان. فلهم الجهاد، ولولا التدافع لهدمت أماكن العبادة: كمحال عبادة الرهبان، وبيَع النصارى، ومصليات اليهود ومساجد المسلمين باعتبارها معالم الدين وأنها يذكر فيها اسم الله كثيراً، وقد ضمن الله النصر لمن يدافع عن دينه وينصر الله وهو القوي العزيز.

٤١: هنا هو هدف المنتصرين في مختلف المبادين: انه اقامة الصلاة وهي عمود الدين ومصدر النهي عن الانحراف، وايتاء الزكاة لسد خلة الجماعة، والأمر بالمعروف وهو كل خير، والنهي عن المنكر – وهو كل شر – والامور بعد ذلك موكولة الى الله.

٤٢،٤٣،٤٤: وليس تكذيب المشركين امراً جديداً فقد صدر من امثال قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين (قوم شعيب) وقوم موسى وكانت العاقبة واحدة: الامهال ثم العذاب فكيف كان انكار الله لهذا السلوك المنحرف؟

٤٥: لقد نالهم العذاب بعد تكذيبهم فانا هم آثار تتحدث عن نفسها: قرية مهدمة، وبئر لاوارد لها، وقصر هدّ سكانه.

٤٦: فليسر هؤلاء المكذبون في الارض بقلوب واعية وآذان سميعة ليتعظوا بالعواقب. ولكنهم لا يملكون ذلك بعد ان ابتلوا بعمى القلوب قبل عمى الابصار.

---

* - تمّ كتابة تفسير القرآن بيراع أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية آية الله الشيخ محمد علي التسخيري.